

معنى الزهد

وليس معنى ما تقدم أن الزهد يعنى ترك الدنيا بالكلية والسعى على تحصيل الرزق الحلال والسعى إلى ما هو أفضل فalmؤمن القوى أحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، ولكن عباده وتقوى ثم سعى واجتهاد قدر استطاعته فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها وتوكل على الله ثم الرضى بما قسمه الله له ، فهو مقسم الأرزاق ومهما أوتى الإنسان من علم وسعى قدر طاقته فلن يتحصل إلا على ما كتبه الله له ، فلا بد أن يكون بما عند الله أوثق مما عنده فيترك الحرام مهما كثر ويقنع بالحلال وإن قل بل ويترك الحلال إن شك فيه مخافة الوقوع فى الحرام .

قال عليه السلام : « من أصبح والدنيا همه فرق الله أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأتها منها إلا ما كتبه الله له ، ومن كانت الآخرة همه جمع الله أمره وجعل غناه فى قلبه وآتته الدنيا وهى راغمة » (١) .

جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله دلنى على

(١) ضعيف : أخرجه الترمذى ٢٤٦٥ ، وأحمد ١٨٣/٥ ، وفى إسناده يزيد بن أبان القرظى ، أجمعوا على ضعفه .

عمل إذا عملته أحبني الله وأحبنى الناس ، فقال : « ازهد
في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبك
الناس » (١)

فلو عرف ذلك زهد في الدنيا وكانت في يده لا في
قلبه حتى تكون ممر للآخرة .

قال تعالى : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ
وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ
غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُمْصِرًا ثُمَّ يَكُونُ
حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ
وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ ﴿٢٠﴾ (٢)

قال تعالى : ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوَ وَلَعِبٌ وَإِنَّ
الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ (٣)

(١) صحيح : أخرجه ابن ماجة ٤١٠٢ ، والطبراني في الكبير ٥٩٧٢ ،

والحاكم ٤٣١٣/٤ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٩٢٢ .

(٢) سورة الحديد الآية ٢٠ .

(٣) سورة العنكبوت الآية ٦٤ .

هذه هي حقيقة الدنيا وهي أيام معدودة ، وإن ظنها
سنين طويلة .

قال تعالى : ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ
(١١٢) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِينَ (١١٣) قَالَ
إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١٤) أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَّا
خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا تَرْجِعُونَ (١١٥) ﴾ (١) .

حقيقة يغفل عنها الإنسان ، يجرى يلهث وراء ما هو
إلى زوال وينسى ما يبقى وهو العمل الصالح الذي يركبه
عند ربه ويرفعه درجات ودرجات بين كل درجة ودرجة
كما بين السماء والأرض في الحياة الأبدية فهي إما جنة
أبدأ ونعيم مقيم ، وإما نار أبدأ وعذاب مقيم .

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا
يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ

(١) سورة المؤمنون الآيات ١١٢ - ١١٥ .

نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا
 نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوْ لَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ
 مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ
 نَصِيرٍ (٣٧) ﴿ (١)

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ
 خَالِدُونَ (٧٤) لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٥) وَمَا
 ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ (٧٦) وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ
 عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ (٧٧) لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ
 أَكْثَرْتُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٨) ﴾ (٢)

وصدق الله العظيم وحاشا لله أن يكون ظالماً ، فقد
 أرسل إلينا الرسل وبين لنا في الكتاب لكي لا يكون
 للظالمين حجة على الله ، إلا أن الإنسان كفور ظالم لنفسه
 يجرى وراء الأهواء تابعاً لعدو له يراه من حيث لا يراه

(١) سورة قاطر الآيات ٣٦ ، ٣٧ .

(٢) سورة الزخرف الآيات ٧٤ - ٧٨ .

هو ، قال تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا
أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا
سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا
الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا
وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرْنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ
بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴿ (١)

هكذا يصور الشيطان لأوليائه الحق باطلاً ، والباطل
حقاً كما سبق أن أوضحنا بالتعلق بالآباء والكبراء ، بل
ويدعى أن الله أمرهم بها والله يأمر بالعدل والإحسان وينهى
عن الفحشاء والمنكر .

وفى المقابل نجد أهل الجنة فى سعادة ونعيم مقيم لا
يخطر على قلب بشر وما لا عين رأت ولا أذن سمعت .
قال ﷺ عن رب العزة قال : « أعددت لعبادى
الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على

(١) سورة الأعراف الآيات ٢٧ ، ٢٨ .

قلب بشر ، فاقروا إن شئتم ﴿ فَلَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿ جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ (٢)

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ (٣)

هذا هو النعيم الحقيقي الخالد الذي لا بد أن يسعى إليه كل عاقل راشد ، قال تعالى : ﴿ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّجْأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴾ (٤)

هكذا نرى أن الزهد ليس ترك الدنيا بالكلية ، ولكن نجعلها وسيلة للوصول إلى الجنة ، وليست غاية ، فتكون

(١) صحيح : أخرجه البخارى ٣٢٤٤ ، ومسنم ٢٨٢٤ .

(٢) سورة فاطر الآية ٣٣ .

(٣) سورة الدخان الآيات ٥١ ، ٥٢ .

(٤) سورة الشورى الآية ٤٧ .

فى يده وليست فى قلبه يملكها ولا تملكه ، تأتى إليه ولا
يجرى هو وراءها ناسياً ربه ودينه ، يبيع الآخرة بعرض
الدنيا الزائل ، فمن أراد الدنيا فعليه بطاعة ربه ومن أراد
الآخرة فعليه بطاعة ربه ومن أرادهما معاً فعليه بالقرآن .

علامة محبة الله للعبد وعلامة محبة العبد للرب :

أما علامة محبة الله للعبد ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (١) .

فمن حب الله للعبد : أن يدفع عنه الشواغل عن
عبادته وبعينه على الطاعة ويقذف النور فى قلبه ، فيرى
الحق حقاً والباطل باطلاً ، ويحب القرآن وأهل الصلاة
يأنس بمناجاته ، ويرضى بقضائه ويصبر على بلائه ،
وكذلك لا يهاب الموت ويستعد له ، قال ﷺ : « من أحب
لقاء الله أحب الله لقاءه » (٢) .

(١) سورة البقرة الآية ٢٢٢ .

(٢) صحيح : أخرجه البخارى ٦٥٠٧ ، ومسلم ٢٦٨٢ ، عزاه
الهندي فى كنز العمال ٢١٧/١٥ للحكيم الترمذى وأبو نصر السجزي
فى الإبانة ، وقال السجزي : حسن غريب .

يحب أوامر الله ونواهيه ، قال ﷺ : « لا يلزم أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به »^(١) ، ويحب القرآن ويتلذذ بسماعه وبقرآته لأنه كلام من أحب ، ورسالة منه إليه ، ويحب الرسول ﷺ الذي عرفه بربه ، وأرشده إلى الحبيب ، وعلامة حب الرسول ﷺ طاعته في كل ما أمر ونهى ، يحب أهل طاعته ويكره أهل المعاصي .

قال ﷺ : « من أحب الله وأبغض الله وأعطى الله ومنع الله فقد استكمل الإيمان »^(٢) ، لا يملّ العبادة ، يفرح بالوقوف بين يدي الله تعالى مقبلاً عليه بكل جوارحه راجياً عفوه طامعاً فيما عنده من ثواب ، خائفاً وجللاً ألا يقبل منه ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ (٦٠) ﴿^(٣) .

(١) أخرجه بسنده الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٤/٤٦٩ ، رقم ٢٢٣٩ ، والبغوي في شرح السنة ١٠٤ ، وأورده النووي في الأربعين النووية الحديث ٤١ ، وقال كحديث صحيح .

(٢) صحيح ، أخرجه أبو داود ٤٦٨١ ، .

(٣) سورة المؤمنون الآية ٦٠ ، .

آثار المعاصي :

١ - حرمان العلم ، وإن العلم نور يقذفه الله في قلب المؤمن يهديه به إلى صراطه المستقيم ، أما المعصية تطفى ذلك النور ، فيصبح في القلب ظلمة لا يرى بها الحق ، وتقوى حتى تظهر على الوجه فيصير أسوداً ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢٣) (١) .

٢ - حرمان الرزق ، قال تعالى : ﴿ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴾ (٢) ، قال ﷺ : « إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه » .

٣ - وحشة يجدها العاصي في قلبه بينه وبين الله ، فلا يأنس بذكر الله ، وكذلك بينه وبين الناس لا سيما

(١) سورة الجاثية الآية ٢٣ .

(٢) سورة نوح الآية ١١ .

أهل الصلاح ، ويحرم بركة الانتفاع بهم حتى يجد
الوحشة بينه وبين أهله ، وبينه وبين نفسه .

٤ - وهن في القلب والبدن ، فيصبح ضعيف يقهره أهل
التقوى والصلاح .

٥ - حرمان الطاعة فلا يوفق لعمل الصالحات .

٦ - زيادة الإثم ، فمن عقوبة السيئة ، السيئة بعدها ،

ومن ثواب الحسنة ، الحسنة بعدها ، فالذى اعتاد

المعاصي يصعب عليه مفارقتها ، بل ويدعو إخوانه

إليها فيصير هو نفسه شيطاناً ولا يزال يألف المعاصي

حتى يسلط الله عليه الشياطين تؤذيه إليها أزراً ، قال

تعالى: ﴿وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ (٣٥) وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ

الرَّحْمَنِ نُقِضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿ (٣٦) ﴾ (١)

(١) سورة الزخرف الآيات ٣٥ ، ٣٦ ،

ومن كثرة اعتياده فعل المعاصي لا يستقبحها ولا
يستحي منها لا أمام نفسه ولا أمام الناس ، بل يصور له
شيطانه أنها متعة وأنه حر يفعل ما يشاء ، ولا يتوب ولا
يستغفر وخاصة إذا لم يجد من يستقبحها ويلومه على فعلها
، وإن تاب تكون توبة الكذابين لأنه مصر عليها فلا يتوب
الله عليه ..

قال ﷺ : « كل أمتي معافي إلا الجاهزون ، وإن من
المجانة أن يعمل الرجل العمل بالليل ويصبح وقد ستره الله
فيكشف ستر الله عليه ، ويقول : يا فلان عملت البارحة
كذا وكذا » (١) .

٧ - والمعصية سبب لهوان العبد على ربه فلا يكرمه
أحد ، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي
السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ

(١) صحيح : أخرجه البخاري ٦٠٦٩ ، ومسلم ٢٩٩٠ .

وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدُّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ
 الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ
 يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾ (١) ، وإن عظمهم الناس لحاجتهم
 إليهم فهم يحقرونهم في قلوبهم ويذمونهم فيقال الفاجر
 الفاسق العاصي ... إلخ .

٨ - وشؤم الذنوب تعم غيره من الناس إلا الأمرين
 بالمعروف والناهون عن المنكر فأولئك هم الناجون ، أما
 الدواب فهي تلعن العاصين ، قال مجاهد : إن البهائم تلعن
 العاصين إذا أمسك المطر ، كما أنه معلون في القرآن ، لعن
 الله من أفسد في الأرض ، من كتم العلم ، ومن قطع
 الرحم ، والذين يرمون المحصنات ، ولعن ﷺ : « الراشى
 والمرثى وأكل الربا وشارب الخمر » (٢) ، واللعن يعنى

(١) سورة الحج الآية ١٨ .

(٢) « لعن أكل الربا » عند مسلم برقم ١٥٩٨ ، ولعن الراشى والمرثى
 عند أحمد ١٦٤/٢ ، وأبو داود ٣٥٨٠ ، والترمذى ١٣٣٧ ،
 وقال : حديث صحيح ، ولعن شارب الخمر عند أحمد ٩٧/٢ ، وأبو
 داود ٣٦٧٤ .

الطرد من رحمة الله كما لعن إبليس بفسقه واستكباره على أمر الله .

٩ - والملائكة لا تستغفر للعصاة ، إنما لمن اتبع سبيل الله .

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ (٧) ﴿١٥﴾

١٠ - ومن كثرة فعل المعاصي والمجاهرة بها تطفئ الغيرة في قلوب الناس فلا ينكرونها حتى المؤمنون منهم ، فيصبح المنكر معروفاً ويهون في أعين الناس كما حدث عندما خرجت المرأة سافرة فقلدها الناس ، ثم خلعت الخمار فهان في نظر الأخريات وقلدوها ، حتى أصبحت عارية تماماً تلبس ما يسمى بالمايوه وتمشى به على شاطئ

(١) سورة غافر الآية ٧١ ، .

البحر فلا يُنكر عليها أحد وكان أصلاً تقليداً بالأجانب غير المسلمين ، وهذا ما حذرنا ربنا عز وجل منه ، وحذرنا رسول الله ﷺ وأمرنا بمخالفتهم ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ (١٠٠) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿ (١)

وقال ﷺ : « من تشبه بقوم فهو منهم » (٢) ، أى مثلهم فى الكفر .

وكيف نكفر ونحن فى أيدينا كتاب الله عز وجل فيه آيات بيّنات نزلت فى أمر المسلمين بارتداء الحجاب ، فهو حجة على كل من عصى الله وقد يسّر لنا الله عز وجل فى هذا الزمن قراءته أو سماعه من المذياع أو الكاسيت ، أما

(١) سورة آل عمران الآيات ١٠٠ ، ١٠١ .

(٢) حسن : أخرجه أحمد ٥٠٠/٢ وأبو داود ٤٠٣١ .

الرجال فهم يشجعون المرأة على هذا الفعل ، بل وينهاها عن لبس الحجاب ، أى يأمرن بالمنكر إذا هى أرادت طاعة ربها ، أليس هذا من صفات المنافقين الذين يأمرن بالمنكر وينهون عن المعروف كما جاء فى كتاب الله عز وجل ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٦٧) (١) ، أما ﷺ فقد وصف الرجل الذى لا يغار على نسائه بالديوث وهو لا يشم رائحة الجنة .

١١ - وإذا انطقت الغيرة من القلب ذهب الحياء وبذهابه يذهب الخير كله لأنه حياة القلوب ، فإذا ذهب مات القلب ، قال ﷺ : « الحياء خير كله » (٢) .

١٢ - المعاصى تخرج صاحبها من دائرة الإيمان ،

(١) سورة التوبة الآية ٦٧ ، .

(٢) سبق تخريجه .

قال ﷺ : « لا يزني الزاني وهو مؤمن » (١) .

وبالتالي يفوته ثواب المؤمنين ، ومنها الأجر العظيم ،
قال تعالى : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ
وَآخَلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ
الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١٤٦) ﴿ (٢) ، فالإيمان سبب كل
خير في الدنيا والآخرة ، والمعاصي سبب كل شر إلا أنها لا
تخرجه من الإسلام إلا إذا أصروا استكبروا وأنكروا أوامر الله أو
ما هو معروف من الدين بالضرورة ونزلت فيه قرآن أو حديث
صحيح .

وفي المقابل تجدد عباد الله المخلصين الذين أخلصوا
العمل لله عز وجل فأخلصهم الله لطاعته وقربهم منه وهي
درجة الإحسان ، هؤلاء يصرف الله عنهم الشيطان فليس له
عليهم سلطان سواء كانوا شياطين الإنس أو الجن فلا يخطر

(١) صحيح : أخرجه البخارى ٢٤٧٥ ، ومسلم ٥٧ .

(٢) سورة النساء الآية ١٤٦ .

بإليهم فعل المعاصي ولا يقربها ، قال تعالى : ﴿ إِلَّا
عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ ﴾ (٨٢) ﴿ (١) .

أما المؤمن فهو يجاهد نفسه ، أما من اعتاد المعاصي
فنفسه هي الأمانة بالسوء وهذا أيضاً لا يأتيه الشيطان ، فقد
اطمأن إليه وأصبح هو نفسه شيطاناً مثله يدعو الناس لتقليده
حتى يدخلهم مدخله من النار .

١٣ - المعاصي تجعل الجوارح لا تطاوع صاحبها على
الطاعة ولا ذكر الله فإذا وقع في شدة أو كرب فإنه لا يذكر
الله ولا يتضرع إليه ، وإن ذكره فهو لاهٍ ساهٍ .

١٤ - ومن آثار المعاصي أنها تزيل النعم وتحل بهم
النقم ، قال علي بن أبي طالب : ما نزل بلاء إلا بذنب ولا
رفع إلا بتوبة .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ

(١) سورة ص الآية ٨٢ .

أَهْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴿١﴾ .

فإذا غيّر العبد الطاعة بالمعصية غيّر الله النعمة بالنقمة ،
وإذا غيّر المعصية بالطاعة ، غيّر الله عليه العقوبة بالعافية
والذل بالعز .

١٥ - أى عقل لمن أثر الفانية على الباقية ، فالعقل

هو الذى تقوم عليه الحجة ، قال تعالى : ﴿ رُسُلًا
مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ
وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (١٦٥) ﴿٢﴾ ، فالمعصية تؤثر فى

نقصان العقل فلا تجد عاقلين أحدهما : عاصي والآخر
مطيع ، إلا كان عقل المطيع أرجح ورأيه أسد ، لذا كان
خطاب القرآن للأولى الأبواب ، قال تعالى : ﴿ الْحَجَّ أَشْهَرُ
مَعْلُومَاتٍ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا
جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنْ

(١) سورة الشورى الآية ٣٠ .

(٢) سورة النساء الآية ١٦٥ .

خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب ﴿١٩٧﴾ (١)

١٦ - المعاصي تستدعى نسيان الله لعبده ويوكله إلى نفسه ، فلا يوفق لما يصلح حاله في الدنيا ويفتقر حاله ، ويدل وإن لم يفتقر فلا يتمتع بما جمع من مال ويوكله إلى نفسه الأمانة بالسوء وشيطانه .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (١٨) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ (٢) ، فيبعد عنه الملك الموكل به الذي يعينه على فعل الخير ، وإصلاح حاله في الدنيا والآخرة ، ويقيض الله له شيطاناً قال تعالى : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ

(١) سورة البقرة الآية ١٩٧ .

(٢) سورة الحشر الآيات ١٨ ، ١٩ .

السَّعِيرُ ﴿٦﴾ (١)

١٧ - كثرة المعاصي تجعل القلب قاسياً وتنزِع منه الرحمة وخاصة عند ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فتنزل عليهم لعنة الله ، واللعن هو الطرد من رحمة الله ، ومن آثارها قساوة القلب .

قال تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خِائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٦) (٢) .

وقال ﷺ : « لما وقت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماءهم فلم ينتهوا فجالسهم في مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم ، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا

(١) سورة فاطر الآية ٦٥ .

(٢) سورة المائدة الآية ١٣ .

يعتدون ، (١) .

وكيف تنتظر رحمة في قلوب من لم يعرف لله حقاً
وبعدوا عن الدين نتيجة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر ؟ كيف يبسرُ ابناً أباه وهو لم يعلم كيف يبسرُ ربه
ويشكره ويعبده ؟ وكيف تخنو أم على ولدها وهي لاهية
عن عبادة ربها مشغولة بالموضة ومشاهدة الأفلام ؟ .

أما الجار فلا يسأل عن جاره ولا حتى يعرف اسمه ،
والأقارب كل مشغول بحاله أو مشغول بحسد أقاربه ولا
يصل رحمه ، وإن وصلها فلحاجة له عندهم ، هذه هي آثار
اللعنة وهكذا ضرب الله قلوب المسلمين بعضهم ببعض
لتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبالتالي بعدهم
عن ربهم وطاعته ، فالإيمان يرقق القلب ويملأه رحمة
وشفقة لا بالإنسان فقط ولكن يشمل الرحمة بالحيوان
والطير ، فالكل يشكو ولا أحد يبحث عن سبب هذا البلاء ،
أما إذا تدبرنا القرآن لوجدنا فيه الحل لكل ما نشكو منه .

(١) سبق لخبرجه .